

رأيت الجميل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مجمل الوجود بأجمل موجود وصلى الله وسلّم وبارك على مجمع الجمال وسيّد الرجال
سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم.

أمّا بعد،

فإنّ الحديث عن الجمال ممّا شغل أذهان الكثير من البشر على مرّ العصور، لما في معناه من
التشعب والاتّساع وصعوبة التحرير مع اتّحاد المنطلق في كونه معنى سامٍ وراقٍ تتطّلع إليه النفوس
السويّة وتتعلّق به القلوب الطاهرة الزكيّة وينشغل به كلّ صاحب ذوق.
ولعلّ قدرة الإنسان على تذوّق معنى الجمال من دلالات كمال إنسانيّته وصفاء آدميّته، لما في ذلك
التذوّق من الارتباط المباشر بحياة باطن الإنسان وإدراك قلبه للمعاني السامية التي في قدرته على
إدراكها سرّ تميّزه عن غيره من المخلوقات.

وللجمال المبتوث في هذا الوجود دور يتعدّى التلذّذ بإدراكه وتذوّقه، وهو أنّ الجمال باب إلى
الجميل، فإنّ الصنعة تدلّ على الصانع والمخلوق باب للتعرف على الخالق، وفي الحديث الشريف
الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه "إنّ الله جميل يحبّ الجمال."
ولمحبّ الجمال في التعامل معه شؤون تتعلّق بارتباطه بالجميل سبحانه وتعالى، فالبعض يستدلّ
بالجمال على الجميل والبعض يستدلّ بالجميل على الجمال، ومقتضى الأخير أن يستحيل الوجود
كلّه له جمالا، لعلمه أن الصنعة لا تنفكّ عن صانعها فمن كان وصفه الجمال لا يصنع إلا جميلا.
وممّا ذكر في هذا المعنى قول الشيخ عبد الكريم الجيلي رضى الله عنه في قصيدته العينيّة:

وكلُّ قبيحٍ إنْ نَسَبَتْ لِحُسْنِهِ ... أَنتُكَ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيهِ تُسَارِعُ
يُكَمِّلُ نُقْصَانَ الْقَبِيحِ جَمَالَهُ ... فَمَا نَمَّ نُقْصَانٌ وَلَا نَمَّ بَاشِعُ.

وتفاوت المخلوقات والمصنوعات في قابليّتها لتكون مظهرا لجمال الصانع الجميل سبحانه
وتعالى بقدر ما أوجد فيها من الاستعداد، فكما أنّ الجمال يسري في جميع المخلوقات فبعضها
أكمل وأجمل من بعض، وأجمل ما خلق الله سبحانه وتعالى هو مجمع الجمال سيّدنا ومولانا
محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم الذي وصفه الصحابي الجليل سيّدنا حسان بن ثابت بقوله:

وأجمل منك لم ترى قط عين ... وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرئا من كلّ عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء.

وقد ذكر المشايخ استدلالاً لطيفاً على كونه صلى الله عليه وآله وسلم أجمل خلق الله، وإن كان القلب السليم لا يحتاج على ذلك دليلاً.

والاستدلال هو تعاقب مقدمتان يوصلان إلى نتيجة، فالمقدمة الأولى حديث الإمام مسلم "إن الله جميل يحبّ الجمال"، والمقدمة الثانية ما هو معلوم من أنّ أحب خلق الله إلى الله سيّدنا رسول الله، قال سيّدنا ابن عباس "ما خلق خلقاً ولا برأه أحب إليه من محمد صلى الله عليه وسلم." فإذا كان الله يحبّ الجمال، وسيّدنا محمد هو أحبّ الخلق إلى الله، فسيّدنا محمد هو أجمل خلق الله سبحانه وتعالى.

وإذا كان الحبيب أجمل خلق الله سبحانه وتعالى فأوصافه هي أجمل الأوصاف، وأخلاقه أجمل الأخلاق، وأقواله أجمل الأقوال، وأفعاله أجمل الأفعال.

ومن تذوّق شيئاً من الجمال المودع في الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أدرك سراية هذا الجمال في كلّ ما جاء عن حضرته، فيفتح له باب من تذوّق جمال الشرع الشريف والسنة الكريمة المطهّرة، وتنتقل متابعتة للحبيب صلى الله عليه وآله وسلم من محض مشقة وتكليف إلى تلذذ بالجمال وتطلّع للكمال، وفرق كبير بين الحالين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يذيقنا من هذا الجمال الأقدس ويشهدنا هذا النور الأسنى ويفتح لنا باب المتابعة له على بصيرة وذوق إنّه وليّ ذلك والقادر عليه آمين.

بقلم / أحمد سيف الدين شريف